

التطور الدلالي لفظ القرآني عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير*

د. فادي بن محمود الرياحنة**

* تاريخ التسليم: ٥ / ٥ / ٢٠١٣ م، تاريخ القبول: ١٨ / ٦ / ٢٠١٣ م.
** أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد/ جامعة طيبة/ المدينة المنورة/ السعودية.

ملخص:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين
وبعد:

يعد الطاهر ابن عاشور من أعمق علماء عصره تناولا لعلوم الدلالة اللغوية، وأوسعهم
باعاً في تعاطيها، فقد عني في تفسيره باللغة عناية ظاهرة، فاعتنى بالمفردة القرآنية من
جميع جوانبها الدلالية، واهتم بها اهتماما كبيرا.

ولما كانت كثير من ألفاظ اللغة قد تطورت وتغيرت - بمجيء الإسلام ونزول القرآن -
في صورتها حيناً وفي دلالتها حيناً آخر - فمنها ما ضاقت دلالته بعد اتساع، ومنها ما
اتسعت دلالته بعد ضيق، ومنها ما انتقلت دلالته لسبب من الأسباب. فقد جاء هذا البحث
محاولة لتتبع هذه الظاهرة التي عرفت عند علماء اللغة بظاهرة التطور الدلالي للفظ القرآني،
وذلك من خلال "تفسير التحرير والتنوير". معتمداً في ذلك على المنهج الاستقرائي للألفاظ
القرآنية الكريمة المتعلقة بموضوع الدراسة، وذلك لمعرفة جهود الطاهر بن عاشور في ذلك،
بصفته أحد ألمع المفسرين اللغويين في العصر الحديث. وأعمقهم تتبعاً للفظ القرآني، الأمر
الذي سيوضحه هذا البحث في ثلاثة مطالب يسبقها تمهيد يتناول مفهوم التطور الدلالي لغة
واصطلاحاً، وفق المطالب الآتية:

- ♦ **المطلب الأول:** تطور الدلالة من معنى لغوي عام إلى معنى شرعي خاص.
- ♦ **المطلب الثاني:** الألفاظ التي استعملها العرب بمعنى خاص ثم تطورت لتدل على معنى عام.
- ♦ **المطلب الثالث:** الألفاظ التي انتقلت دلالتها لسبب من الأسباب

Phenomenon of Semantic Evolution of the Quranic Terminology

Abstract:

*Scholar Taher Ibn Ashour is considered as one of the most profound and well- written scholars of his time in studying language connotations. He showed keen interest in his exegesis in the language and in the Quranic vocabulary from connotative and denotative perspectives. After the revelation of the Holy Quran, language has developed, evolved and changed. This research is an attempt to trace this phenomenon, which came to be known among linguists as the Phenomenon of Semantic Evolution of the Quranic Terminology, through the study of Ibn Ashour's Al Tahreer and Al Tanweer Exegesis. **This paper highlights three aspects:***

- ◆ *The evolution of language from denotations to scholastic connotation.*
- ◆ *The restricted meanings of words that Arabs used and evolved to broader and more comprehensive meanings.*
- ◆ *The changes of connotative meanings of words.*

مقدمة:

الحمد لله الذي هدى أوليائه نهج الهدى، وأجرى على أيديهم الخيرات ونجاهم من الردى، وأسلم على سيدنا المنقذ من الضلالة والعمى، محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم، وعلى آله الطاهرين، وصحبه أعلام التقى. أما بعد:

فإن القرآن الكريم عجائبه لا تنقضي، وبحر علمه لا ينفد، وهو الآية الأولى للرسول صلى الله عليه وسلم، ودليل صدقه في نبوته، جعله الله تعالى معجزة خالدة لهذا النبي وهذه الأمة، وتحدى به البشرية جمعاء عن أن يأتوا بمثله فلم يستطيعوا، قال تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾^(١).

بُهر العرب بجمال القرآن وروعته، وبالتغيير الذي أضفاه على النظم البياني فضلاً عن أثره في تغيير العادات والمفاهيم والتقاليد، فنظر العرب إلى لغتهم وهي تتألف في رداؤها الذي أحكم نسجه فحدبوا على عطاء هذه اللغة يختزنونه، وعمدوا إلى مرونتها يستغلونها، فكان هذا المخزون جمالاً بلاغياً لا يبلى^(٢).

وقد لاحظ علماء المسلمين أن القرآن الكريم حينما أنزله الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، حمل الألفاظ العربية معاني لم تكن معهودة عند العرب في كلامها. نعم، إنه نزل ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾^(٣). ولكن عربيته - حين استعملت في سياق القرآن الكريم - أعطت دلالات جديدة لم يعهدها العربي في كلامه. إنها معاني قال القرآن الكريم عنها: ﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ﴾^(٤).

قال ابن فارس - متحدثاً عن التحول الدلالي الذي لحق بالألفاظ بمجيء الإسلام - : «كَانَتْ الْعَرَبُ فِي جَاهِلِيَّتِهَا عَلَىٰ إِرْثٍ مِنْ إِرْثِ آبَائِهِمْ فِي لُغَاتِهِمْ وَأَدَابِهِمْ وَنَسَائِكِهِمْ وَقَرَابِينِهِمْ. فَلَمَّا جَاءَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِالْإِسْلَامِ حَالَتْ أَحْوَالُ، وَنَسَخَتْ دِيَانَاتُ، وَأَبْطَلَتْ أُمُورٌ، وَنُقِلَتْ مِنَ اللُّغَةِ الْفَاضِ مِنْ مَوَاضِعَ إِلَىٰ مَوَاضِعَ آخَرَ بَزِيَادَاتٍ زَيْدَتْ، وَشَرَائِعَ شُرِعَتْ، وَشَرَائِطُ شُرِطَتْ. فَغَفَى الْآخِرُ الْأَوَّلَ»^(٥).

وهذا أبو حاتم الرازي يصنّف كتاب "الزينة في الكلمات الإسلامية والعربية" ذاكراً فيه مجموعة كبيرة من الألفاظ التي تنوعت دلالاتها مبيناً انتقالها من دلالة إلى أخرى.

والسيوطي يعقد أبواباً في كتابه المزهر يتناول فيها الخاص والعام، فوضع باباً فيما وُضع عاماً واستعمل خاصاً، وباباً فيما وضع خاصاً لمعنى خاص.. وغيرهم كثير ممن درسوا مسار اللفظ القرآني ودلالاته المتطورة، وما لحقه - بنزول القرآن ومجيء الإسلام -، من تطور وتغير؛ في صورته حيناً وفي دلالاته حيناً آخر - فمنها ما ضاقت دلالاته بعد اتساع، ومنها ما اتسعت دلالاته بعد ضيق، ومنها ما انتقلت دلالاته لسبب من الأسباب.

وهناك جهود أخرى معاصرة لجمع ألفاظ القرآن الكريم ودراساتها وبيان التغير الحاصل فيها، فقد ألف الإمام عبد الحميد الفراهي^(٦) كتاباً نفيساً سماه «مفردات القرآن الكريم نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية» تتبع فيه الكلمات العربية التي أخذت معاني جديدة داخل الحقل القرآني.

وَألف الدكتور عبد العال سالم مكرم كتابه «الكلمات الإسلامية في الحقل القرآني» معتمداً فيه على كتاب «الزينة» لأبي حاتم الرازي وأضاف عليه إضافات موفقة. قال في مقدمة كتابه هذا: «إن القرآن الكريم يطالعنا بكلمات أعطاها الإسلام مدلولات خاصة ومعاني معينة. فأسماء الله تعالى وصفاته لها في الأذهان معاني ليست معروفة عند أهل الجاهلية، وألفاظ العبادة من صلاة وركوع وسجود وتشهد لها أيضاً مدلولات إسلامية تختلف كل الاختلاف عن المدلولات الجاهلية».^(٧)

وقد استفاد المفسرون - المتقدمون والمتأخرون - من هذه الدراسات في الكشف عن معاني ألفاظ القرآن الكريم، وبيان أصولها اللغوية ودلالاتها المتطورة.

وكان ابن عاشور رحمه الله تعالى واحداً من المعاصرين الذين عنوا بدلالة الألفاظ وتطورها، وفي تفسيره "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" المشهور بالعنوان المختصر: "التحرير والتنوير" حيث يلحظ القاري المتبصر عنايته رحمه الله تعالى بهذه الظاهرة.

فقد تمكن رحمه الله تعالى - بما أوتي من حس لغوي سليم، ومعرفة عميقة باللغة العربية وفقهها - من إمعان النظر في ألفاظ القرآن الكريم؛ وبيان معانيها المتغيرة، متخذاً من كلام العرب وأشعارها، شواهد تدل على صحة هذه المعاني.

الأمر الذي سيوضحه هذا البحث في ثلاثة مطالب يسبقها تمهيد يتناول مفهوم التطور الدلالي لغة واصطلاحاً، وفق المطالب الآتية:

- المطلب الأول: تطور الدلالة من معنى لغوي عام إلى معنى شرعي خاص.
- المطلب الثاني: الألفاظ التي استعملها العرب بمعنى خاص ثم تطورت لتدل على معنى عام.
- المطلب الثالث: الألفاظ التي انتقلت دلالاتها لسبب من الأسباب.

تمهيد:

مفهوم التطور الدلالي:

عندما يستخدم اللغويون المحدثون لفظة "تطور" فهم لا يتحدثون عن التحول أو التقدم إلى وضع أفضل، فهو لا يعني عندهم أكثر من مرادف لكلمة: التغيير^(٨)

وبالعودة إلى جذور اللفظة في المعاجم اللغوية القديمة يورد ابن منظور في باب "طور" المعاني الآتية^(٩) "الطور: التارة، تقول: "طوراً بعد طور" أي تارة بعد تارة، وجمع الطور أطوار. والناس أطوار أي: أخياف على حالات شتى. والطور: الحال، وقال ثعلب: "أطواراً أي: خلقاً مختلفة كل واحد على حدة... والأطوار الحالات المختلفة والتارات والحدود، فواحدها طور... والطور: الحد بين الشئين" (٩).

إذا فمفهوم التطور لا يعني التقدم ضرورة، بل هو الانتقال من طور إلى آخر، أي من شكل إلى آخر أي "التغير" و"التحول" و"الانتقال" من حالة إلى أخرى.

أما مفهوم «الدلالة»: فيشير إلى «المعنى»، أي معنى المفردات الذي تحمله والمعنى هو الشيء المقصود من كلام المتكلم.

وهذا المفهوم هو ما يذهب إليه معظم دارسي اللغة، ومجال الدرس الدلالي، فهو "دراسة المعنى اللغوي على صعيدي المفردات والتركيب" (١٠)

وقد أورد ابن منظور في باب "دل"، دل: أدلّ عليه، والدّالة: ما تدلّ به على حميمك.. وفلان يدلّ على أقرانه كالبازي يدلّ على صيده.. ودلّه على الشيء يدلّه دلّاً ودلالة فاندلّ: سدده إليه، ودلّته فاندلّ، والدليل: ما يستدلّ به" (١١).

ويورد ابن فارس في باب "دل" فيقول: الدال واللام أصلان: أحدهما إبانة الشيء بأمارة تعلمها، والآخر اضطراب في الشيء. فالأول قولهم: دللت فلاناً على الطريق. والدليل: الأمارة في الشيء. وهو بين الدلالة والدلالة (١٢).

انطلاقاً من هذا المفهوم يتضح أن الدلالة بالنسبة إلى الألفاظ هي: ما تدلنا عليه من معانٍ توضح هدف المتكلم من كلامه، وعليه يكون مفهوم الدلالة: "المعنى الذي يمكن أن تحملها المفردات" (١٣)

وهكذا يكون مفهوم التطور الدلالي هو: "التغير الذي يطرأ على المفردة، سواء أكان المعنى المتطور دلالياً جديداً أم كان قريباً من الدلالة السابقة، أو حتى لو انقرض المعنى الأساسي للكلمة". ويكون إطلاق لفظ: "التطور" على هذه الحالة باعتبار كون المفردة تنتقل من طور إلى طور أي من حال إلى حال (١٤).

مظاهر التطور الدلالي للفظ القرآني:

ذهب معظم اللغويين إلى أن التطور الدلالي ثلاثة مظاهر هي: تعميم الدلالة أو ما يسمى بتوسيع المعنى وتخصيص الدلالة أو ما يعرف بتضييق المعنى، وتغيير مجال استعمال الكلمة أو ما يسمى بانتقال الدلالة»^(١٥)

وبالرجوع إلى تفسير التحرير والتنوير نلاحظ أن ابن عاشور رحمه الله تعالى تعرض لهذه المراحل الثلاث أثناء تفسيره لآيات القرآن الكريم مستفيداً من كلام العرب وأشعارها دليلاً على صحة ما يذكره، وفيما يأتي تفصيل ذلك ضمن المطالب الآتية:

● المطالب الأول: تطور الدلالة من معنى لغوي عام إلى معنى شرعي خاص:

وهو ما عرف عند علماء الدراسات الحديثة بـ «تخصيص الدلالة؛ وهو» ما يلحق الكلمة من تطور يضيق فيه المعنى بعد اتساع عمومته»^(١٦)

وأكثر ما ينطبق عليه هذا النوع من التطور، تلك الألفاظ التي تتغير في دلالتها من معناها اللغوي العام إلى معناها الشرعي الخاص، فهي تلك الألفاظ التي تغير مدلولها في العصر الإسلامي عما كانت عليه في العصر الجاهلي.

وقد وقف ابن عاشور عند عدد من هذه الألفاظ، وأشار إلى مفهومها القديم الذي اصطلح عليه بالمعنى اللغوي ومفهومها الجديد، وهو المعنى «الشرعي»، ومن أمثلة هذا النوع من أنواع التطور الدلالي ما يأتي:

١. كلمة «الفاسق»:

فكلمة «الفاسق» لم تعرف العرب منه إلا قولهم: «فسقت الرُّطبة» إذا خرجت من قشرها» وبمجيء الإسلام أعطاها مفهوماً خاصاً لم يكن مستعملاً من قبل عند العرب، ذكر ذلك ابن عاشور عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾^(١٧) فقال: «وَفَسَقَ: تجاوز عن طاعته. وأصله قولهم: فسقت الرُّطبة، إذا خرجت من قشرها فاستعمل مجازاً في التجاوز. قال أبو عبيدة. والفسق بمعنى التجاوز عن الطاعة. قال أبو عبيدة: «لم نسمع ذلك في شيء من أشعار الجاهلية ولا أحاديثها وإنما تكلم به العرب بعد نزول القرآن»^(١٨)

فلفظ الفسق من الألفاظ التي نقلها الإسلام عن أصلها، فالفسق عند العرب خروج الرطبة من قشرها، فاستعير بعد الإسلام ليدل على «الخروج عن طاعة الله».

قال الزبيدي - نقلاً عن بعض شيوخه - : "الفسق: من الألفاظ الإسلامية التي لا يُعرف إطلاقاً على هذا المعنى قبل الإسلام وإن كان أصل معناها الخروج فهي من الحقائق الشرعية التي صارت في معناها حقيقة عرفية في الشرع" (١٩).

ونقل الراغب الأصفهاني عن ابن الأعرابي أيضاً: "أنه لم يسمع الفاسق في وصف الإنسان في كلام العرب، وإنما قالوا فسقت عن قشرها" (٢٠).

وهو المعنى الذي أشار إليه ابن فارس في باب الأسباب الإسلامية حيث قال: "ولم يعرفوا في الفسق إلا قولهم: فسقت الرطبة، .. وجاء الشرع بأن الفسق: الإفحاش في الخروج عن طاعة الله تعالى" (٢١).

٢. كلمة "الجاهلية":

كلمة "الجاهلية" من الألفاظ التي أعطاها الإسلام مفهوماً جديداً لم تعرفه العرب قبل الإسلام، ذكر ذلك ابن عاشور عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ (٢٢) حيث قال: "الجاهلية صفة جرت على موصوف محذوف يقدر بالفئة أو الجماعة، وربما أريد به حالة الجاهلية في قولهم أهل الجاهلية، وقوله تعالى: ﴿تَبَرَّجَ الْجَاهِلِيَّةُ الْأُولَى﴾ (٢٣)، والظاهر أنه نسبة إلى الجاهل أي الذي لا يعلم الدين والتوحيد، فإن العرب أطلقت الجهل على ما قابل الحلم، قال ابن الرومي:

بجهل كجهل السيف والسيف منتضى وحلم كحلم السيف والسيف مُغمد

وأطلقت الجهل على عدم العلم قال السموأل: فليس سواء عالم وجهل

وقال النابغة: وليس جاهل شيء مثل من علما

وأحسب أن لفظ الجاهلية من مبتكرات القرآن، وصف به أهل الشرك تنفيراً من الجهل، وترغيباً في العلم، ولذلك يذكره القرآن في مقامات الذم في نحو قوله: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ (٢٤)، ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ (٢٥) وقال ابن عباس: سمعت أبي في الجاهلية يقول: اسقنا كأساً دهاقاً، وفي حديث حكيم بن حزام: أنه سأل النبي "صلى الله عليه وسلم" عن أشياء كان يتحنن بها في الجاهلية من صدقة وعتاقة وصلة رحم. وقالوا: شعر الجاهلية، وأيام الجاهلية. ولم يسمع ذلك كله إلا بعد نزول القرآن وفي كلام المسلمين" (٢٦).

فلفظ الجاهلية من الألفاظ التي جاء بها الإسلام يقصد بها الحال التي كان عليها العرب قبل الإسلام، لتدل على الزمن الذي كان قبل البعثة حتى فتح مكة وإرساء قواعد الدولة الجديدة.

أي أن هذا اللفظ ارتدى لبوساً إسلامياً يفيد معنى الانغماس في الضلال، المعنى الذي لم تستخدمه العرب، ولم يرد في أشعارهم ولا كلامهم قبل الإسلام؛ وإنما استخدموا لفظ الجهل ومشتقاته في معنيين:

– الجهل الذي هو ضد العلم – الجهل الذي هو ضد الحلم

أما الجهل بمعناه الاصطلاحي، الذي ذكره ابن عاشور وأخبر أنه من مبتكرات القرآن الكريم؛ فهو “الجهل بحقيقة الألوهية، واتباعهم غير ما أنزل الله” فإنه لم يرد إلا بعد مجيء الإسلام ونزول القرآن الكريم.

قال الإمام السيوطي – رحمه الله – في “المزهر”: “قال ابن خالويه: إن لفظ الجاهلية اسم حدث في الإسلام للزمن الذي كان قبل البعثة» (٢٧)،

وقال محمد قطب: “لفظ “الجاهلية” مصطلح قرآني، وهذه الصيغة بالذات – صيغة “الفاعلية” – ... فقد استخدموا الفعل: “جَهَل” وتصريفاته المختلفة، واستخدموا المصدر “الجهل” و “الجهالة”، ولكنهم لم يستخدموا صيغة “الفاعلية” جاهلية، ولا هم وصفوا أنفسهم ولا غيرهم بأنهم “جاهليون” .. إنما جاء وصفهم بهذه الصفة في القرآن الكريم” (٢٨).

٣. كلمة “جَهْد اليمين”:

كلمة “الجهد” من الألفاظ التي لم تعرف عند العرب في الجاهلية إلا بمعنى “التعب والمشقة”. ذكر ذلك ابن عاشور عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ (٢٩) فقال: “وَجَهْدُ الْإِيمَانِ بفتح الجيم أقواها وأغلظها، وحقيقة الجهد التعب والمشقة ومنتهى الطاقة، وفعله كمنع. ثم أطلق على أشد الفعل ونهاية قوته لما بين الشدة والمشقة من الملازمة، وشاع ذلك في كلامهم ثم استعمل في الآية في معنى أوكد الإيمان وأغلظها، أي أقسموا أقوى قسم، وذلك بالتوكيد والتكرير ونحو ذلك مما يغلظ به اليمين عرفاً. ولم أر إطلاق الجهد على هذا المعنى فيما قبل القرآن” (٣٠)

فالجهد بفتح الجيم: التعب والمشقة، قال الرازي: “والجهد بالفتح المشقة يقال جهد دابته وأجهدّها إذا حمل عليها في السير فوق طاقتها، وجهد الرجل في كذا أي: جد فيه وبالغ” (٣١)

وقال الراغب في المفردات: «الجهد والجهد: الطاقة والمشقة، والمجاهدة: است فراغ الوسع في مدافعة العدو» (٣٢).

ثم أضفى عليه القرآن الكريم معنى جديداً لم يعرف قبل نزول القرآن الكريم حين استعاره "للأيمان" ليصبح معنى "جهد اليمين" أو كدها وأغلظها، وهذه الاستعارة: جعلت الأيمان كالشخص الذي له جهد ففيه استعارة مكنية، حيث رمز إلى المشبه به بما هو من مرادفه وهو "أن أحداً يجهد أي يستخرج منه طاقته فإن كل إعادة لليمين هي كتكليف لليمين بعمل متكرر كالجهد له" (٣٣).

٤. كلمة "المحارب":

"المحارب" من الألفاظ التي أضفى عليها الإسلام أيضاً معنى جديداً، ذكر ذلك ابن عاشور عند تفسير قوله تعالى: ﴿كَلِمًا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ (٣٤) فقال: "المحارب مشتق من الحَرْب لأن المتعبّد كأنه يحارب الشيطان فيه، فكأنهم جعلوا ذلك المكان آلة لمحاربة الشيطان. ثم أطلق المحارب عند المسلمين على موضع كشكل نصف قبة في طول قامة ونصف يجعل بموضع القبلة ليقف فيه الإمام للصلاة. وهو إطلاق مولد وأول محراب في الإسلام محراب مسجد الرسول "صلى الله عليه وسلم" صنع في خلافة الوليد بن عبد الملك، مدة إمارة عمر بن عبد العزيز على المدينة" (٣٥).

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ﴾ (٣٦) قال ابن عاشور: "والمحارب: جمع محراب، وهو الحصن الذي يحارب منه العدو والمهاجم للمدينة، أو لأنه يرمى من شرفاته بالحرب، ثم أطلق على القصر الحصين... ثم أطلق المحراب على الذي يُخْتَلَى فيه للعبادة فهو بمنزلة المسجد الخاص، قال تعالى: ﴿فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب﴾ (٣٧) ... وأما إطلاق المحراب على الموضع من المسجد الذي يقف فيه الإمام الذي يؤمّ الناس... فتسمية ذلك محراباً تسمية حديثة ولم أقف على تعيين الزمن الذي ابتدئ فيه إطلاق اسم المحراب على هذا الموقف" (٣٨).

وفي هذا المثال يشير ابن عاشور إلى أن الدلالة الأصلية لكلمة "المحارب" تدل على معنى: "القصر أو الحصن الذي يحارب منه العدو، ثم توسع في استعماله ليطلق على المكان الذي يختلّى فيه للعبادة" وبمجيء الإسلام، وبناء المساجد، استعمل ليدل على الموضع الذي يقف فيه الإمام.

وعلى هذا يكون هذا اللفظ من الألفاظ التي تبدل في معناها، وقد لخص الفيروز أبادي هذه المعاني في القاموس مادة "حرب" (٣٩) والراغب الأصفهاني في مفرداته (٤٠).

قال كروزويل وهو يقدم التفسير اللغوي لكلمة المحراب عند العرب: "وردت هذه الكلمة في أشعار العرب قديماً، غير أنها لم يكن لها معنى ديني في تلك الأيام، بل كانت تدل على أشياء دنيوية." (٤١)

وهكذا فإنه يلحظ بعدما سقناه من ألفاظ مختلفة أن الإسلام أعطاهها مفهوماً جديداً خاصاً لم يكن مستعملاً عند العرب قبل الإسلام، وهذا لا يعني أنها وضعت وضعاً جديداً وإنما جاءت على طريقة ما ألفه العرب ووسعته لغتهم مجازاً ونقلًا. فهذه الألفاظ كانت معروفة عند أهل اللغة بمعناها اللغوي قبل أن يتوسع الشارع في دلالتها على المعاني الأخرى.

وابن عاشور عند وقوفه على هذه الألفاظ، قد أشار إلى مفهومها القديم الذي اصطلح عليه بالمعنى اللغوي ومفهومها الجديد، ليكون بهذا قد أبان عن دور الإسلام ونزول القرآن في تطور دلالات ألفاظ اللغة العربية. ليعرف القاري كيف كان القرآن معجزاً، ويتبصر نواحي إعجازه، فقد كان يمكن أن تنزل لغة القرآن على غير اللغة التي نزلت بها وهي اللغة العربية، بحيث تكون مختلفة تمام الاختلاف في تأليفها وكلماتها، وطريقة نطقها المعروفة والمألوفة، ولو كان ذلك، لخرج القرآن الكريم عن معنى المعجزة، ولما كان هناك معنى للمطالبة بالإتيان بسورة مثله أو من مثله، لكن ولكي تقوم الحجة، كان وجه التدبير في ذلك، أن تكون لغة الوحي منتمية إلى اللسان العربي من جهة. ومن جهة أخرى تكون قد تجاوزت هذا النمط، وهذه المعاني المعروفة لديهم قبل الإسلام، وهذا بلا شك هو موطن الإعجاز في القرآن الكريم.

القسم الثاني:

الألفاظ التي استعملها العرب بمعنى خاص ثم تطورت لتدل على معنى عام:

أطلق السيوطي على هذا الضرب من التطور: ما وضع في الأصل خاصاً ثم استعمل عاماً^(٤٢) ويسمى عند علماء الدراسات الحديثة بـ "توسيع المعنى أو تعميمه"^(٤٣)، والمقصود من ذلك أن يتوسع في معنى الكلمة ودلالاتها فتنتقل من معناها الخاص الذي كانت تدل عليه إلى معنى أشمل وأعم من ذلك^(٤٤) وقد رصدت عدداً من هذه الألفاظ التي أشار إليها ابن عاشور في أثناء تفسيره لألفاظ القرآن الكريم، وفيما يأتي نماذج منها:

١. كلمة «الدأب»:

قال تعالى: ﴿كَذَابَ آلَ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٤٥) قال ابن عاشور: "والدأب: أصله الكدح في العمل وتكريره، ثم أطلق على العادة لأنها تأتي من كثرة العمل، فصار حقيقة شائعة، قال النابغة: "كدأبك في قوم أراك اصطنعتهم"، أي عادتك، ثم استعمل بمعنى الشأن كقول امرئ القيس: "كدأبك من

أم الحُوَيْرِثَ قَبْلَهَا“ وهو المراد هنا، في قوله: ﴿كَدَّابٌ آلَ فِرْعَوْنَ﴾، والمعنى: شأنهم في ذلك كشأن آل فرعون»^(٤٦).

وفي هذا المثال يشرح ابن عاشور التطور الدلالي لكلمة ”الدَّابُّ“ التي تدل في أصل اللغة على معنى ”الدوام والاستمرار“. يقال: دأب على كذا: إذا داوم عليه وجد فيه وتعب^(٤٧).

ثم اتسعت دلالتها وتطورت لتدل على معنى ”الحال، والشأن والعادة“، لأن من يستمر في عمل ما فترة طويلة، يصير هذا العمل عادة من عاداته، وحالاً من أحواله^(٤٨).

قال الإمام الواحدي - موضحاً التطور الدلالي للفظ: ”الدَّابُّ: الاجتهاد والتعب، يقال: سار فلان يومه كله يدَّاب فيه، فهو دائب، أي: اجتهد في سيره، هذا أصله في اللغة، ثم يصير الدَّابُّ عبارة عن الحال والشأن والأمر والعادة؛ لاشتغال العمل والجهد على هذا كله“^(٤٩)

وقال البيضاوي رحمه الله: ”هو مصدر دأب في العمل: إذا كدح فيه. فنقل إلى معنى الشأن“^(٥٠).

وهو المعنى الذي رجحه ابن عاشور من بين هذه المعاني لكن من أهل المعاني، من فسر ”الدَّابُّ“ هنا” بمعناها اللغوي في أصل الوضع، فقد نقل ابن منظور رحمه الله عن الأزهري: ”قال الزجاج في قوله تعالى: ﴿كَدَّابٌ آلَ فِرْعَوْنَ﴾، أي: كشأن آل فرعون، وكأمر آل فرعون، كذا أهل اللغة. قال الأزهري: والقول عندي فيه والله أعلم أن دأب ها هنا: اجتهدهم في كفرهم، وتظاهروا على النبي صلى الله عليه وسلم كتظاهر آل فرعون على موسى عليه السلام“^(٥١).

٢. كلمة ”الزحف“:

تعد كلمة الزحف من الألفاظ التي انتقلت وتوسعت دلالتها عما وضعت له، ذكر ذلك ابن عاشور عند قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفُوا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ﴾^(٥٢) حيث قال: ”والزحف أصله مصدر زَحَفَ من باب منع، إذا انبعت من مكانه متنقلاً على مقعده يجرر كما يزحف الصبي. ثم أطلق على مشي المقاتل إلي عدوه في ساحة القتال زَحَفٌ؛ لأنه يدنو إلى العدو باحتراس وترصد فرصة، فكأنه يزحف إليه يطلق الزحف على الجيش الدَّهْم، أي كثير عدد الرجال، لأنه لكثرة الناس فيه يثقل تنقله فوصف بالمصدر، ثم غلب إطلاقه حتى صار معنى من معاني الزحف ويجمع على زُحُوف. وقد اختلفت طرق المفسرين في تفسير المراد من لفظ زحفاً في هذه الآية فمنهم من فسره بالمعنى المصدري أي: ”المشي في الحرب“ وجعله وصفاً لتلاحم الجيشين عند القتال، لأن

المقاتلين يدبون إلى أقرانهم ديبياً، ومنهم من فسره بمعنى "الجيش الدهم كثير العدد"، وجعله وصفاً لذات الجيش" (٥٣).

وفي هذا المثال يوضح ابن عاشور أن الأصل الدلالي لكلمة "الزحف" هو: «من زحف الصبي على أسننه قبل أن يقوم» (٥٤). يقول الأزهري: "وإذا فعل ذلك على بطنه قيل قد حَبَا" (٥٥).

ثم توسع في استعمال هذا اللفظ فسمي به "الجيش الداهم كثير والمتوجه إلى العدو. وذلك لأن الجيش إذا كثرت التحم بعضهم ببعض يشاهد أن سيره بطيء وإن كان في حقيقة الأمر سريعاً.

وإلى هذا المعنى أشار أبو حيان في شرحه لكلمة "الزحف" حيث قال: «الجماعة يمشون إلى عدوهم هو الزحف» (٥٦). وقال الفراء: "الزحف الدنو قليلاً، يقال زحف إليه يزحف زحفاً إذا مشى، وأزحفت القوم دنوت لقتالهم.. وسُمِّي الجيش العرمرم بالزحف لكثرة كآنه يزحف أي يدب ديبياً من زحف الصبي إذا دبَّ على إلبته قليلاً قليلاً" (٥٧).

وابن عاشور في هذا المثال يشير إلى اختلاف المفسرين الناجم عن التطور الدلالي لهذا اللفظ القرآني، فمن المفسرين من فسره على أنه وصف لتلاحم الجيشين.

قال الإمام البغوي: "قوله عز وجل "رَحَفًا"، أي: مجتمعين متراحفين بعضكم إلى بعض، والتراحف: التداني في القتال» (٥٨). وقال الخازن: "وسمي مشي الطائفتين بعضهم إلى بعض في القتال زحفاً لأنها تمشي كل طائفة إلى صاحبتها مشياً رويداً وذلك قبل التداني للقتال" (٥٩).

ومن المفسرين من فسره على أنه وصف لذات الجيش "الدهم كثير"، قال الإمام الزمخشري في الكشاف: «والزحف: الجيش الدهم الذي يرى لكثرتة كأنه يزحف، أي: يدب ديبياً. والمعنى: إذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وأنتم قليل فلا تفروا فضلاً عن أن تدانوهم في العدد أو تساوهم» (٦٠).

٣. كلمة "القائم":

قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ (٦١)، قال ابن عاشور: "القائم على الشيء: الرقيب، فيشمل الحفظ والإبقاء والإمداد. وأصله من القيام وهو الملازمة كقوله: ﴿إِلَّا مَا دَمَتْ عَلَيْهِ قَائِماً﴾ (٦٢). ويجيء من معنى القائم أنه العليم بحال كل شيء لأن تمام القيومية يتوقف على إحاطة العلم.

فمعنى قائم على كل نفس ”مُتَوَلِّيَّها ومدبِّرُها في جميع شُؤْنِها في الخلق والأجل والرزق، والعالم بأحوالها وأعمالها“ (٦٣).

وفي هذا المثال يبين ابن عاشور التطور الدلالي لكلمة ”القائم“ التي حملها السياق القرآني دلالات جديدة لم تكن معهودة عند العرب قبل نزول القرآن الكريم، فالقيام- في أصل اللغة- هو ”المواظبة والملازمة“ (٦٤).

قال الفراء: ”قائماً: أَيُّ مُوَاطِباً مُلَازِماً، وَمِنْهُ قِيلَ فِي الْكَلَامِ لِلْخَلِيفَةِ: هُوَ الْقَائِمُ بِالْأَمْرِ، وَكَذَلِكَ فَلَانَ قَائِمٌ بِكَذَا. قَالَ ابْنُ بَرِّي: وَالْقَائِمُ عَلَى الشَّيْءِ الثَّابِتُ عَلَيْهِ“ (٦٥).

والقرآن الكريم توسع في دلالة هذه اللفظة، فقد وصف الله تعالى نفسه في هذه الآية بأنه ﴿القائم على كل نفس﴾ بمعنى: أنه هو سبحانه: مُتَوَلِّيَّها ومدبِّرُها. وتجيء أيضاً بمعنى: ”العالم بأحوالها وأعمالها، والرقيب عليها“. ذلك أن من لوازم أن يكون قيماً عليها أن يكون محيط العلم بها غير خاف عليه شيء من أحوالها.

قال القاسمي في تفسيره: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ أي: مراقب لأحوالها ومشاهد لها، لا يخفى عليه ما تكسبه من خير أو شر. فهو مجاز: لأن القائم على الشيء عالم به، ولذا يقال: وقف عليه، إذا علمه فلم يخف عليه شيء من أحواله (٦٦).

٤. كلمة ”المنتهى“:

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا، فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾ (٦٧) قال ابن عاشور: ”والمنتهى: أصله مكان انتهاء السير، ثم أطلق على المصير لأن المصير لازم للانتهاء قال تعالى: ﴿وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ (٦٨) ثم توسع فيه فأطلق على العلم، أي لا يعلمها إلا الله، فقلوه: ﴿مُنْتَهَاهَا﴾ هو في المعنى على حذف مضاف، أي علم وقت حصولها كما دل عليه قوله: ﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾. ويجوز أن يكون «منتهاهَا» بمعنى بلوغ خبرها كما يقال: أنهيت إلى فلان حادثة كذا، وانتهى إليّ نبأ كذا“ (٦٩).

وفي هذا المثال يشرح ابن عاشور الأطوار الدلالية التي مرت بها كلمة ”المنتهى“ فبعد أن كان يقتصر على معنى ”انتهاء السير“ اتسعت دلالاته فتجيء بمعنى: المرجع والمصير؛ لأنه من لوازمه، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾، وتجيء كلمة: المنتهى بمعنى ”العلم“ أي العلم بوقت حصول يوم القيامة بدليل قوله تعالى: ﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾. وتجيء ”المنتهى“ بمعنى: بلوغ خبرها، يقال: انتهى إليّ نبأ كذا. ويقال: أنهيت الأمر إلى الحاكم: أَعْلَمْتُهُ بِهِ (٧٠).

المطلب الثالث:

الألفاظ التي انتقلت دلالتها لسبب من الأسباب:

وهو ما اصطلح عليه عند علماء الدراسات الحديثة بـ «انتقال الدلالة» والمقصود: «أن ينتقل اللفظ من مجال دلالته إلى مجال دلالة أخرى لعلاقة أو مناسبة واضحة بين الداليتين»^(٧١).

ولهذا النوع من أنواع التطور الدلالي ثلاثة أشكال، وهي: الانتقال عن طريق الاستعارة، والانتقال عن طريق المجاز، والانتقال عن طريق الكناية^(٧٢)..

وقد تعرض ابن عاشور لهذه الأطوار الثلاثة، موضحاً الأصل الدلالي للفظه والمعنى الجديد المنبثق عنه مستشهداً على ذلك بما ورد على لسان العرب من شواهد توضح ذلك، وفيما يأتي تفصيل ذلك:

◀ الشكل الأول - الانتقال عن طريق المجاز:

يعد المجاز بأنواعه المختلفة باباً واسعاً من أبواب التطور الدلالي، وله أثره الكبير في مجرى هذا التطور. ويتم عن طريق انتقال اللفظ من معنى إلى آخر بالاعتماد على مجموعة من العلاقات بين المدلولين، هذه العلاقات إما المجاورة أو السببية أو الجزئية أو الكلية.

وقد اهتم ابن عاشور رحمه الله تعالى كثيراً بهذا المظهر. وفي تفسيره التحرير والتنوير شواهد كثيرة، تدل على ذلك، نذكر منها:

١. كلمة السبيل:

فعند تفسير قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٧٣).. قال ابن عاشور: «السَّبِيلُ هو الطريق...، ثُمَّ أُطْلِقَ السَّبِيلُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ مَجَازًا مَشْهُورًا عَلَى الْمَوَازَاةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾^(٧٤). وَقَالَ: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ﴾^(٧٥)..

ففي هذا المثال يشرح ابن عاشور الانتقال المجازي لكلمة «السبيل» في القرآن الكريم الذي يعود معناها اللغوي إلى «الطريق» لكن السياق القرآني في هذه الآية أضفى عليها معنى مجازياً جديداً خرجت به عن أصله إلى معنى جديد وهو: «الموَازَاة»، ليكون معنى قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ أي: مَوَازَاةٌ وعقوبة، ومعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ﴾ أي ليس على الذين تخلفوا عن الغزو

بسبب مرض أو عجز، مؤاخذاً أو إثم فهم من أهل الأعدار وإنما المؤاخذاً أو العقوبة في الذين تخلفوا من غير عذر مسوغ لفعالهم هذا.

٢. كلمة "المقيت":

فعند تفسير قوله تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا﴾^(٧٦). قال ابن عاشور: "والمقيت.. أصله عند أبي عبيدة الحافظ. وهو اسم فاعل من أقات إذا أعطى القوت، فوزنه مَفْعَلٌ وعينه واو. واستعمل مجازاً في معاني الحفظ والشهادة بعلاقة اللزوم، لأن من يقيت أحداً فقد حفظه من الخصاصة أو من الهلاك"^(٧٧).

وفي هذا المثال يوضح ابن عاشور الانتقال المجازي لكلمة "المقيت" والمشتقة عن أصلها اللغوي «القوت»، فهي اسم فاعل من «أقات» بمعنى: إذا أعطى القوت.

وفي هذا السياق القرآني خرج اللفظ عن أصله الدلالي ليدل على معنى مجازي جديد يدل هنا على معنى "الحفظ"، ذلك أن من يقيت أحداً فقد حفظه من الهلاك أو من الحاجة.

٣. كلمة «كَبُرَ»

فعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ﴾^(٧٨). قال ابن عاشور: "ومعنى كَبُرَ هنا شَقٌّ عَلَيْكَ. وَأَصْلُهُ عِظَمُ الْجَثَّةِ، ثُمَّ اسْتَعْمِلَ مجازاً في الأمور العظيمة الثَّقِيلَةَ لِأَنَّ عِظَمَ الْجَثَّةِ يَسْتَلْزِمُ الثَّقَلَ، ثُمَّ اسْتَعْمِلَ مجازاً في معنى (شَقٌّ) لِأَنَّ الثَّقِيلَ يَشِقُّ جَمْلُهُ"^(٧٩).

وفي هذا المثال يشرح ابن عاشور انتقال كلمة "كَبُرَ": من الدلالة الحقيقية الحسية وهي "الجثة العظيمة والضخمة" إلى الدلالة المجازية وهي: "الأمور العظيمة الثقيلة على النفس"

قال الزمخشري في أساس البلاغة: "كبر الأمر، وخطب كبير. وكبر عليّ ذلك: إذا شَقَّ عَلَيْكَ ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾^(٨٠). ومنه: ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾^(٨١)

◀ الشكل الثاني - الانتقال عن طريق الاستعارة^(٨٢):

وهذا هو الضرب الثاني من ضروب انتقال الدلالة. فالاستعارة نوع من التطور الدلالي، يحصل بنقل الألفاظ الموضوعية للدلالة على الأمور المادية المحسوسة للتعبير عن الأمور

المعنوية، فهي نوع من المجاز، تقوم العلاقة فيه بين المعنى الأول للكلمة، ومعناها الثاني على المشابهة..

وقد لاحظ عبد القاهر الجرجاني النقل الدلالي في الاستعارة، وذلك عندما ينقل اللفظ من مجال استعماله الأول إلى مجال آخر كأنه العارية، فيقول: ”أعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفاً تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلاً غير لازم، فيكون هناك كالعارية“ (٨٣)

وفي تفسير ابن عاشور مجموعة كبيرة من الأمثلة الدالة على هذا الشكل من أشكال التطور الدلالي، وفيما يأتي نماذج موضحة لذلك:

١. كلمة «السلخ»:

فعدت تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ (٨٤) قال ابن عاشور: ”وانسلاخ الأشهر انقضاؤها وتامها وهو مطاوع سلخ. وهو في الأصل استعارة من سلخ جلد الحيوان، أي إزالته..“ (٨٥). ويقول عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ (٨٦). ”السَّلَخُ: إِزَالَةُ الْجِلْدِ عَنْ حَيَوَانِهِ، ... فشبه النهار بجلد الشاة ونحوها يغطي ما تحته منها كما يغطي النهار ظلمة الليل في الصباح. وشبه كشف النهار وإزالته بسلخ الجلد عن نحو الشاة فصار الليل بمنزلة جسم الحيوان المسلوخ منه جلده“ (٨٧).

ففي هذا المثال يشرح ابن عاشور انتقال كلمة ”السلخ“ التي وضعت في الأصل لتدل على ”نزع جلد الحيوان“ لتدل على معنى جديد، وهو هنا في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ﴾ ”انقضاء مدة الأشهر الحرم“. وفي قوله تعالى: ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾، خروج النهار من الليل.

أي أنه شبه «زوال النهار وانفصاله عن الليل» و«انقضاء مدة الأشهر الحرم» بانسلاخ الجلد من جسد الكائن، وحذف المشبه به، وهو ”الكائن من أمثال الشاة وغيرها“، وجاء بشيء من صفاته، وهو انسلاخ الجلد عن جسده على سبيل الاستعارة المكنية.

٢. كلمة «الأوزار»:

قوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتُنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ (٨٨) قال ابن عاشور: ”والأوزار: حقيقتها الأثقال، جمع وزر بكسر الواو وسكون

الزاي وهو الثقل، واستعمل في الجرم والذنب ؛ لأنه يثقل فاعله عن الخلاص من الألم والعناء، فأصل ذلك استعارة بتشبيه الجرم والذنب بالوزر، وشاعت هذه الاستعارة، قال تعالى: ﴿وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم﴾ في سورة الأنعام، كما يعبر عن الذنوب بالاثقال قال تعالى: ﴿وليحملن أثقالهن وأثقالا مع أثقالهن﴾^(٨٩)، وحمل الأوزار تمثيل لحال وقوعهم في تبعات جرائمهم بحامل الثقل لا يستطيع تقصياً منه، فلما شبه الإثم بالثقل فأطلق عليه الوزر شبه التورط في تبعاته بحمل الثقل على طريقة التخيلية، وحصل من الاستعارتين المفرقتين استعارة تمثيلية للهيئة كلها، وهذا من أبداع التمثيل أن تكون الاستعارة التمثيلية صالحة للتفريق إلى عدة تشبيهات أو استعارات^(٩٠).

وفي هذا المثال يشرح ابن عاشور الانتقال المجازي لكلمة ”الأوزار“ عن أصلها الدلالي وهو ”الأثقال“ حيث استعار السياق القرآني الكلمة لتدل على معنى ”الذنوب والآثام“ تشبيهاً لها بـ ”الأوزار“ أو ”الأثقال“ تحمل على الظهر بجامع المشقة. يقول الدكتور عقيل الخاقاني: ”وإذا كانت الأوزار أو الأثقال قد استعيرت للذنوب والآثام، بجامع المشقة، فإنَّ المشقة الجسدية التي تسببها هذه الأحمال أو الأثقال يمكن أن يضعها حاملها ويستريح منها، كلما أحسَّ بثقلها أو تعب من حملها. ولكنَّ المشقة النفسية التي تنتج عن الذنوب والآثام التي يقترفها الإنسان ولم يتب عنها أو يندم عليها في حياته، فإنَّه يبقى ينوء بحملها، ولا يستطيع أن يتخلص أو أن يستريح منها، إذ تبقى ترافقه وهو يواجه عرصات القيامة، حتى يقاد بها إلى جهنم. من هنا نستطيع أن ندرك السرَّ البياني في استعمال هذه الاستعارة، إذ ترسم لنا أشخاصاً يحملون أثقالاً على ظهورهم، لا يملكون حرية وضعها أو الاستراحة منها، وهم في طريقهم إلى جهنم، وبهذا تتضاعف عليهم الشدائد النفسية، إذ يواجهون ما كانوا يكذبون به^(٩١)“.

◀ الشكل الثالث - الانتقال عن طريق الكناية:

الكناية، في اصطلاح علماء البيان: «لفظ أطلق وأريد به لازم معناه، مع جواز إرادة المعنى الأصلي»^(٩٢)..

يقول عبد القاهر الجرجاني: «الكناية أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه، وردفه في الوجود، فيومئ به إليه، ويجعله دليلاً عليه»^(٩٣).. فالتكلم يترك اللفظ الموضوع للمعنى الذي يريد التحدث عنه، ويلجأ إلى لفظ آخر موضوع لمعنى آخر تابع للمعنى الذي يريده، فيعبر به عنه.

ويختلف أسلوب الكناية عن أسلوب المجاز في أنَّ أسلوب المجاز يشتمل على قرينة تمنع من إرادة المعنى الأصلي، أما القرينة في أسلوب الكناية فإنها لا تمنع إرادة المعنى الأصلي

وقد حفل القرآن الكريم بكثير من الألفاظ المنتقلة على هذه الصورة، حيث توقف ابن عاشور رحمه الله تعالى في تفسيره على هذه الألفاظ موضحاً وشارحاً هذا الانتقال الدلالي لهذه الألفاظ، وفيما يأتي أمثلة موضحة لذلك:

١. كلمة «الغائط»:

فكلمة «الغائط» التي تعني في دلالتها الأصلية "المكان المنخفض، ثم انتقلت دلالتها الحقيقية إلى معنى آخر مجازي، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ﴾^(٩٤) قال ابن عاشور: "من الغائط كناية عن قضاء الحاجة البشرية، شاع في كلامهم التكني بذلك لبشاعة الصريح. والغائط: المنخفض من الأرض، وما غاب عن البصر، يقال: غاط في الأرض إذا غاب يغوط، فهمزته منقلبة عن الواو، وكانت العرب يذهبون عند قضاء الحاجة إلى مكان منخفض من جهة الحي بعيد عن بيوت سكانهم، فيكنون عنه: يقولون ذهب إلى الغائط أو تغوط، فكانت كناية لطيفة ثم استعملها الناس بعد ذلك كثيراً حتى ساوت الحقيقة"^(٩٥).

وفي هذا المثال يشرح ابن عاشور التطور الدلالي لكلمة «الغائط» التي أصبحت تعبر عن الحدث المخصوص دون سواه، حيث إنها غادرت المعنى الأول وهو "المنخفض من الأرض"، حتى صار المعنى المخصوص حقيقة فيها؛ إذ لا يفهم عند إطلاق هذا اللفظ إلا المعنى الذي نقل له.

٢. كلمة «الرفث»:

فعند تفسير قوله تعالى: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾^(٩٦) قال ابن عاشور: "والرفث في «الأساس» و«اللسان»: أن حقيقته الكلام مع النساء في شئون الالتذاذ بهن، ثم أطلق على الجماع كناية"^(٩٧).

وفي هذا المثال يوضح ابن عاشور انتقال كلمة «الرفث» عن أصل وضعها الدال على "فحش الكلام" إلى معنى كنائي جديد يدل على "الجماع" وما يتعلق به.

قال أبو عبيدة: "الرفث: اللغو من الكلام، يقال: (رفث في كلامه يرفث وأرفث): إذا تكلم بالقبيح، ثم جعل كناية عن الجماع عن كل ما يتعلق به، فالرفث باللسان: ذكر المجامعة وما يتعلق بها، والرفث باليد: اللمس، وبالعين: الغمز، والرفث بالفرج: الجماع"^(٩٨).

وبعد فهذه كانت أهم مظاهر التطور الدلالي التي وقف عندها ابن عاشور ليكون بهذا قد تتبع رحمه الله تعالى مظاهر التطور الدلالي بأنواعه المختلفة: ”تطور الدلالة من معنى لغوي عام إلى معنى شرعي خاص، وتطور الدلالة من معنى خاص إلى معنى عام، وانتقال الدلالة من معنى حقيقي إلى معنى مجازي، ... ليكون ممن كان لهم عناية واضحة بهذه الظاهرة، حيث نبّهت تفسيراته لألفاظ القرآن الكريم، أنّ القرآن الكريم أكسب بعض الكلمات دلالات جديدة واستعمالات لم تكن تعدها العرب قبل نزوله.

الخاتمة:

الحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، هو أهل المحامد كلها، لا يحصي الخلق ثناءً عليه، فله الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شاء من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، وكلنا له عبد.

وفي الختام أقف في نهاية هذا البحث مسجلاً أهم النتائج على النحو الآتي:

١. أولاً: بمجيء الإسلام ونزول القرآن تغيرت دلالات كثير من الألفاظ بالتوسيع تارة أو التضييق أو النقل، وهذا كله دليل على طوعية اللغة في دلالتها ما دامت دلالة اللفظ ومدلوله يسمح بذلك.

٢. ثانياً: توسع ابن عاشور في دراسته للفظ القرآني وكشف - رحمه الله - في أغلب المواضع عن العلاقة بين الدالّتين التفسيرية واللغوية. مستفيداً من أئمة اللغة المعبرين في ذلك بإيراد أقوالهم في ثنايا التفسير.

٣. ثالثاً: ابن عاشور عند وقوفه على هذه الألفاظ، قد أشار إلى مفهومها القديم الذي اصطلح عليه بالمعنى اللغوي ومفهومها الجديد، ليوضح دور الإسلام ونزول القرآن في تطور دلالات ألفاظ اللغة العربية. وليتبصر القاري نواحي إعجازه. فقد كان يمكن ان تنزل لغة القرآن على غير اللغة التي نزلت بها، ولو كان ذلك، لخرج القرآن الكريم عن معنى المعجزة، ولما كان هناك معنى للمطالبة بالإتيان بسورة من مثله، لكن ولكي تقوم الحجة، كان وجه التدبير أن تكون لغة القرآن منتمية إلى لغة العرب من جهة. وتكون قد تجاوزت هذا النمط، وهذه المعاني المعروفة لديهم قبل الإسلام من جهة أخرى، وهذا بلا شك وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم والذي أراد ابن عاشور أن يبرهن له.

٤. رابعاً: تفسير ابن عاشور ثروة لغوية ينبغي الالتفات إليها والعناية بها درساً وتحليلاً لمادته، والإفادة مما فيه من مسائل لغوية، سيما ما يتعلق بدراسة التغيرات التي

طرأت على الألفاظ، مما يساعد في فهم اختلاف المفسرين في تفسيراتهم وغيرها من القضايا المتعلقة.

٥. خامساً: كان لانتقال الدلالة عن طريق المجاز متمثلاً في الاستعارة والمجاز المرسل والكناية، الأكثر من مظاهر التطور الدلالي، ما جعل ابن عاشور يؤكد على أهميته في التطور الدلالي.

٦. سادساً: اهتم ابن عاشور بذكر الأصل الاشتقاقي للفظ لما له من أثر واضح في إعطائه المرونة للفظ لينتقل من دلالة لأخرى، لذا كان حرص ابن عاشور على بيان الأصل والنقل والاشتقاقات المختلفة له بوصفها أثراً من آثار هذا التطور

وبعد فإنني لا أدعي أنني أحطت بكل ما يتصل بموضوع التطور الدلالي للفظ القرآني عند ابن عاشور، وإنما هي محاولة متواضعة، للكشف عن عنايته رحمه الله تعالى بهذا الجانب من جوانب تفسيره، فإن أحسنت فمن الله وحده وله الحمد والمنة، وإن قصرت وأخطأت فمن نفسي والشيطان.

وأخيراً أحمد الله القدير جل في علاه، وأثني عليه بما هو أهله، وأصلي على سيدنا المبعوث رحمة للعالمين بالحق بشيراً ونذيراً وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

الهوامش:

١. سورة الإسراء/ الآية: ٨٨.
٢. الصّغير، محمد حسين علي، أصول البيان العربي " في ضوء القرآن الكريم "، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان ١٩٩٩ م ص ٤٧.
٣. سورة الشعراء/ الآية: ١٩٥.
٤. سورة هود/ الآية: ٤٩.
٥. ابن فارس، أحمد بن زكرياء، صاحب في فقه اللغة العربية، الناشر: محمد علي بيضون، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ م، ص: ٤٤.
٦. علامة العربية والتفسير، أحد مخضرمي القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين. حيث ولد رحمه الله سنة ١٢٨٠ هـ في قرية فريها - من قرى مديرية أعظم كره بالهند - وكان ابن خال علامة الشرق ومؤرخ الإسلام، الشيخ شبلي النعماني - تغمد الله برحمته - وتوفي سنة ١٣٤٩ هـ الموافق ١٩٣٠ م. انظر ترجمته في المقدمة التي كتبها الدكتور محمد أجمل أيوب الإصلاحي في تقديمه لكتاب الفراهي " مفردات القرآن " دار الغرب الإسلامي ببيروت، ط ١ / ٢٠٠٢ م.
٧. مكرم، عبد العال سالم، الكلمات الإسلامية في الحقل القرآني، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٧ هـ، ص ٥.
٨. عبد التواب، رمضان، التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه، مطبعة المدني، ط ١، مصر، ١٩٨٣ م، ص ٩.
٩. ابن منظور، جمال الدين الإفريقي، لسان العرب، دار صادر، الطبعة الثالثة، بيروت، ٢٠٠٤ م ٧ / ٩.
١٠. قدور، أحمد محمد، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، الطبعة الثانية، دمشق، ١٩٩٩ م، ص ٢٧٩.
١١. ابن منظور، لسان العرب، ١١ / ٢٤٨، ٢٤٧.
١٢. ابن فارس، أحمد بن زكرياء، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٢ / ٢٢٥٩.
١٣. انظر: منصور، عفاء رفيق، التطور الدلالي لدى شعراء البلاط الحمداني، جامعة تشرين، ٢٠٠٨ م ٢٠٠٩ م، ص ٧.

١٤. انظر: الكراعين، أحمد نعيم، علم الدلالة بين النظرية والتطبيق، المؤسسة الجامعية، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٣، ص ٩٥. وانظر: قدور، أحمد، اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي، دارا لفكر، الطبعة الأولى، دمشق، ٢٠٠١، ص ١٦٢.

١٥. عمل اللغويون القدامى على ذكر هذه المظاهر والمجالات في كتبهم من خلال أفكار وأمثلة عرضوها في حديثهم عن ظواهر لغوية مختلفة، فكانت إشارات غير مباشرة إلى موضوع التطور الدلالي ومظاهره ومنهم على سبيل الذكر لا الحصر: الثعالبي في كتابه "ثمار القلوب في المضاف والمنسوب"، وابن السكيت في "إصلاح المنطق"، وابن قتيبة في "أدب الكاتب" وكذلك نجد عند المحدثين منهم أمثال: الدكتور رمضان عبد التواب، والدكتور فايز الداية، وأحمد مختار عمر، ود. عبد الرحمن أيوب، والدكتور أحمد قدور، وغيرهم.

١٦. حيدر، فريد عوض، علم الدلالة، مكتبة النهضة المصرية، ط ٣، ١٩٩٩م، وأنيس، الدكتور إبراهيم، دلالة الألفاظ، ص ١٥٥.

١٧. سورة الكهف الآية: ٥٠.

١٨. التحرير والتنوير ١٥ / ٣٤١.

١٩. الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية ١ / ٦٥٥ (فسق).

٢٠. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ، ص ٣٨٠.

٢١. نقله السيوطي في المزهري عن ابن فارس ١ / ٩١.

٢٢. سورة آل عمران / الآية: ١٥٤.

٢٣. سورة الأحزاب / الآية: ٣٣.

٢٤. سورة المائدة / الآية: ٥٠.

٢٥. سورة الأحزاب / الآية: ٣٢.

٢٦. التحرير والتنوير ٤ / ١٣٦.

٢٧. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ ١٩٩٨م ١ / ٢٤٠.

٢٨. قطب، محمد، رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر، مكتبة السنة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١ م، ص: ب.
٢٩. سورة المائدة/ الآية: ٥٣.
٣٠. التحرير والتنوير ٦/ ٢٣٣.
٣١. الرازي، زين الدين بن عبد القادر الحنفي، مختار الصحاح، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩ م، ص ٦٢.
٣٢. الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ٢٠٨.
٣٣. التحرير والتنوير ١٨/ ٢٧٨.
٣٤. سورة آل عمران/ الآية ٢٧.
٣٥. التحرير والتنوير- ٣/ ٢٣٧.
٣٦. سورة سبأ/ الآية: ١٣.
٣٧. سورة آل عمران/ الآية: ٣٩.
٣٨. التحرير والتنوير ٢٢/ ١٦٠.
٣٩. انظر: الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ، ٢٠٠٥ م مادة "حرب".
٤٠. انظر: الأصفهاني، الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن. تحقيق: صفوان عدنان الداودي.
- الناشر: دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ، ص ٢٢٥
٤١. نقلا عن كتاب حكم الصلاة في المحراب بين الجواز والارتياح، لفرح حسن اليوسفي، دار الكتب العلمية، ص ٨.
٤٢. السيوطي، المزهري ١/ ١٣٤.
٤٣. عرار، الدكتور مهدي أسعد، جدل اللفظ والمعنى، دار وائل للنشر، عمان، ط ١، ٢٠٠٥ م، ص ١٤١.
٤٤. الزيايدي، حاكم مالك، الترادف في اللغة، دار الحرية، بغداد، ١٩٨٠ م. ص ٢٣.

٤٥. سورة آل عمران / الآية: ١١.
٤٦. التحرير والتنوير ٣ / ١٧٤.
٤٧. لسان العرب، ٥ / ١٧٩.
٤٨. طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر، القاهرة، الطبعة: الأولى يناير ١٩٩٨ م، ٦ / ١٢٨.
٤٩. السمين الحلبي، ، أحمد بن يوسف، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ٢ / ٤٠.
٥٠. البياضوي، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ ٢ / ١٢. وتابعه على ذلك: أبو السعود: ٢ / ١٠، والألوسي: ٣ / ٩٣.
٥١. لسان العرب: ٢ / ١٣١٠، مادة (دأب).
٥٢. سورة الأنفال / الآية: ١٥.
٥٣. التحرير والتنوير- ٩ / ٢٨٧.
٥٤. الأزهرى، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، طبعة ٢٠٠١ م، ٤ / ٢١٤.
٥٥. المرجع السابق، بنفس الصفحة.
٥٦. أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت الطبعة: ١٤٢٠ هـ، ٥ / ٢٩١.
٥٧. المرجع السابق.
٥٨. البغوي، الحسين بن مسعود، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ ٢ / ٢٧٧.
٥٩. الخازن، علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر، لباب التأويل في معاني التنزيل، تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ، ٢ / ٢٩٩.
٦٠. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٧ هـ، ٢ / ١٤٨.
٦١. سورة الرعد / الآية: ٣٣.

٦٢. سورة آل عمران / الآية: ٧٥.
٦٣. التحرير والتنوير ١٣ / ١٥٠.
٦٤. لسان العرب ١٢ / ٥٠.
٦٥. المرجع السابق بنفس الجزء والصفحة.
٦٦. القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد، محاسن التأويل، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ، ٦ / ٢٨٦.
٦٧. سورة النازعات / الآية: ٤٣ .
٦٨. سورة النجم / الآية: ٤٢.
٦٩. التحرير والتنوير ٣٠ / ٩٦.
٧٠. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المكتبة العلمية، بيروت، ٢ / ٦٢٩.
٧١. الزيايدي، الترادف في اللغة، ص ٢٤ .
٧٢. انظر: دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، الطبعة الخامسة، ١٩٨٤ م، مكتبة الأنجلو، ص ١٦١
٧٣. سورة آل عمران / الآية: ٧٥.
٧٤. سورة التوبة / الآية: ٩١ .
٧٥. سورة التوبة / الآية: ٩٣ .
٧٦. سورة النساء / الآية: ٨٥ .
٧٧. التحرير والتنوير- ٥ / ١٤٤.
٧٨. سورة الأنعام / الآية: ٣٥.
٧٩. التحرير والتنوير ٧ / ٢٠٣.
٨٠. سورة الشورى / الآية: ١٢.
٨١. سورة الأنعام الآية ٢٥، وانظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو جار الله، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م، ٢ / ١١٩.

٨٢. في هذا البحث لا نعرض للاستعارة والمجاز من الوجهة البلاغية البيانية التي أغناها البلاغيون بالدراسة، ولكننا ننظر إليهما على أنهما مظهران من مظاهر التطور الدلالي في اللغة.

٨٣. الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، المحقق: محمود شاكر؛ مكتبة الخانجي؛ ١٩٩١م؛ ص ٢٢.

٨٤. سورة التوبة / الآية ٥.

٨٥. التحرير والتنوير ١٠ / ١١٤.

٨٦. سورة يس / الآية: ٣٧.

٨٧. التحرير والتنوير ٢٣ / ١٧.

٨٨. سورة الأنعام / الآية: ٣١.

٨٩. سورة العنكبوت / الآية: ١٣.

٩٠. التحرير والتنوير ٧ / ١٨٩.

٩١. بحث بعنوان التجسيم في التعبير القرآني، جامعة الكوفة كلية الآداب.

٩٢. الذهبي، محمد السيد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة ٢ / ٣٧٩.

٩٣. الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود شاكر، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢م، مطبعة المدني، القاهرة، ص ٦٦.

٩٤. سورة النساء / الآية: ٤٣.

٩٥. التحرير والتنوير ٥ / ٦٦.

٩٦. سورة البقرة / الآية: ١٨٧.

٩٧. التحرير والتنوير ٢ / ١٨٢.

٩٨. انظر: تفسير الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب، ٣ / ١٨١ وتفسير ابن كثير، في تفسير آية ﴿فَلَا رَفَتْ وَلَا فُسُوقٌ﴾.

المصادر والمراجع:

١. الأزهري، محمد بن أحمد الهروي، تهذيب اللغة، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.
٢. أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، الطبعة الخامسة، مكتبة الأنجلو، سنة ١٩٨٤.
٣. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ.
٤. البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ.
٥. الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، المحقق: محمود شاكر أبو فهر؛ مكتبة الخانجي؛ ١٩٩١م.
٦. الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود شاكر، الطبعة الثالثة، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٢م.
٧. أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، طبعة: ١٤٢٠ هـ.
٨. حيدر، الدكتور فريد عوض، علم الدلالة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٩م ط ٣، ١٩٩٩م.
٩. الخازن، علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر، لباب التأويل في معاني التنزيل، تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.
١٠. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي، مختار الصحاح، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٩م.
١١. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، دار القلم، بيروت، طبعة أولى، ١٤١٢ هـ.
١٢. الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية.
١٣. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ هـ.

١٤. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ.
١٥. الزيادي، حاكم مالك، الترادف في اللغة، دار الحرية، بغداد. ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م.
١٦. السمين الحلبي، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، المحقق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
١٧. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م.
١٨. الصّغير، محمد حسين علي، أصول البيان العربي " في ضوء القرآن الكريم "، دار المؤرخ العربي، بيروت، ١٩٩٩ م.
١٩. طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر، القاهرة، الطبعة: الأولى يناير ١٩٩٨ م.
٢٠. عبد التواب، رمضان، التطور اللغوي، مظاهره وعلمه وقوانينه. مطبعة المدني، ط ١، مصر ١٠٨٣ م.
٢١. عرار، الدكتور مهدي أسعد، جدل اللفظ والمعنى، دار وائل للنشر، عمان، ط ١، ٢٠٠٥ م.
٢٢. ابن فارس، أحمد بن زكرياء، الصحابي في فقه اللغة العربية، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
٢٣. ابن فارس، أحمد بن زكرياء، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٢.
٢٤. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
٢٥. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المكتبة العلمية، بيروت.
٢٦. القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد، محاسن التأويل، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.
٢٧. قدور، أحمد، اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي، دار الفكر، الطبعة الأولى، الطبعة الأولى، دمشق، ٢٠١ م.
٢٨. قدور، أحمد، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، الطبعة الثانية، دمشق ١٩٩٩ م.

٢٩. قطب، محمد، رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر، مكتبة السنة، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١.
٣٠. الكراعين، أحمد نعيم، علم الدلالة بين النظرية والتطبيق، المؤسسة الجامعية، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٣ م.
٣١. منصور، عفراء رفيق، التطور الدلالي لدى شعراء البلاط الحمداي، رسالة علمية، جامعة تشرين، ٢٠٠٨ م.
٣٢. ابن منظور، جمال الدين الإفريقي، لسان العرب، دار صادر، الطبعة الثالثة، بيروت، ٢٠٠٤ م.
٣٣. مكرم، عبد العال سالم، الكلمات الإسلامية في الحقل القرآني، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٧هـ.
٣٤. اليوسفي، فرح حسن، حكم الصلاة في المحراب بين الجواز والارتياح، دار الكتب العلمية.